قراءة في طروحات اسرائيلية:

خطوط حمراء وأفق مسدود

بين أواخر أيلول (سبتمبر) واوائل تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧، «انتج» المجتمع الاسرائيلي، في فترة شهر أو أكثر قليلاً، ثلاث مبادرات سياسية تشترك في التفكير والسعي إلى البحث في المستقبل السياسي لأرض فلسطين، وهي كالتالي:

١ ـ «خطوط عريضة لدفع المفاوضات قدماً بين الليكود و م.ت.ف. للتوصل إلى تسوية مرحلية في الضفة الغربية، انطلاقاً من الرغبة في التوصل إلى معاهدة سلام بين الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني في أرض ـ اسرائيل»، أو ما أطلق عليه اسم «وثيقة عميراف» التي تم نشرها في ٢٨/٩/١٩٨٧.

٢ ـ رسالة مفتوحة من أرييه هس، عضو مركز حزب العمل (بمثابة لجنة مركزية) ورئيس مشروع الاتحاد الكونفدرالي، إلى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، وذلك بتاريخ ٧/١١/١٩٨٧.

٣ ـ مشروع القرار الذي اتخذ في مركز حزب مبام في ختام النقاش السياسي، والذي حمل عنوان «لاسلام بدون حل المشكلة الفلسطينية»، ونشر بتاريخ ٩/١١/١٩٨٧.

وبصرف النظر عن القيمة الفعلية لمثل هذه المبادرات، أو حجم المبادرين، وموقعهم، في عملية صناعة القرار السياسي في اسرائيل، فان مجرد طرح مبادرتين من الثلاث على بساط البحث والجدل العام من جانب عضوين في اللجان المركزية للحزبين الحاكمين، وصدور الثالثة عن أكبر احزاب «اليسار الصهيوني»، في محاولة للتمايز عن المجرى السياسي العام، بعد فترة طويلة من التبعية لبرامج المعراخ؛ ان مجرد ذلك، وبصرف النظر عن الوزن الفعلي لتلك المبادرات، يشير الى تخلخل المسلّمات الصهيونية، والى اعتراف، ولو ضعيف، بالافق المسدود، يمكن ملاحظته في ما يلي:

اولاً: نلاحظ، بداية، انه على الرغم من حالة الارتداد البارزة في المحيط العربي، وعلى الرغم من الجهد الاميركي ـ الاسرائيلي المكثف لتبديد طاقة العمل الوطني الفلسطيني، الا انه لم يصدر، ابداً، فلسطينياً، ما يشير إلى امكان تقديم تنازل رئيس عن المشروع ـ الاساس ـ مشروع الاستقلال الوطني ـ الذي يقاتل الفلسطينيون لتحقيقه منذ بدايات هذا القرن، أي ان حوافز المشروع الفلسطيني لم تقل، على الرغم من كل أشكال التدمير، في حين أن حوافز المشروع الصهيوني تبدو متضائلة، مما يدفع باتجاه تقديم التنازلات للخصم، حتى لو كان الأمر شكلياً، على الرغم من القوة والعنفوان الذي يتميز بهما المشروع والكيان حتى الآن.

ثانياً: ليست هذه هي المرة الاولى، أو الاخيرة، التي يتقدم فيها الصهيونيون بمشاريع بشأن المستقبل السياسي لفلسطين، وتتضمن تنازلات عن جوهر مشروعهم، اذ الملفت ان مثل هذه المشاريع قد امتزجت، منذ اللحظة الاولى، ببدايات التفكير والجدل النظري حول المشروع الصهيوني؛ والملفت الاهم، هنا، ان مشاريع من هذا النوع ـ أي التي تتضمن حجماً من التنازل ـ تكثر ويتم تفريخها كلما شعر سدنة المشروع الصهيوني بأن مشروعهم على طريق مسدود، وهو شعور، في الغالب، لا ينتج عن قوة الخصم بقدر ما ينتج عن رفض الخصم تقديم تنازل رئيس يتصل بمشروع استقلاله الوطني.

ويبدو هنا وكأن قيادة الحركة الصهيونية محكومة بمبدأ ثابت مارسته وتمارسه منذ نشوء التفكير